



مزيداً من الطائفية في العالم العربي والإسلامي!

الجمعة 1 مايو 2009 9:30:00 GMT

غالب حسن الشابندر

تتزايـد يوماً بعد يوم معالم (تطـيف) أو تـكـرـيسـ الطـائـفـيـةـ فيـ مجـمـلـ حـيـاةـ المـجـتمـعـ العـرـبـيـ وـالـإـسـلـامـيـ سـوـاءـ عـلـىـ صـعـيدـ الـفـكـرـ أوـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ أـصـحـابـ الـديـانـاتـ وـالـمـذـاهـبـ وـالـنـحلـ وـالـمـلـلـ فـيـ هـذـاـ المـجـتمـعـ، وـهـوـ المـجـتمـعـ الـزـاـخـرـ بـالـتـارـيـخـ الـدـينـيـ وـالـمـذـهـبـيـ وـالـقـومـيـ!ـ فـيـ العـرـاقـ مـاـ زـالـ التـنـابـذـ الطـائـفيـ مـوـجـودـاـ بـشـكـلـ وـآـخـرـ، وـلـعـلـ مـوجـةـ التـفـجـيرـاتـ الـأـخـيـرـةـ مـنـ خـالـلـ النـظـرـ إـلـىـ سـيـاقـاتـهاـ الـزـمـنـيـةـ وـالـمـكـانـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـلـدـ الـجـرـيـجـ شـاهـدـ عـلـىـ ذـلـكـ، بـالـمـثـلـ مـاـ يـجـريـ مـنـ إـثـارـاتـ وـصـيـحـاتـ حـولـ مـاـ تـسـمـيـ بـعـضـ وـسـائـلـ الـإـلـاعـمـ الـعـلـمـ عـلـىـ (ـتـشـيـعـ)ـ الـمـجـتمـعـ الـمـصـرـيـ، وـمـاـ تـلـاـ ذـلـكـ مـنـ تـغـيـيرـ اللـونـ الـأـخـضرـ بـالـلـونـ الـأـسـوـدـ بـالـنـسـبـةـ لـمـدارـسـ الـصـوـفـيـةـ فـيـ مـصـرـ نـظـرـاـ لـإـقـرـانـ التـشـيـعـ تـارـيـخـياـ بـالـلـونـ الـأـخـضرـ، فـيـمـاـ كـانـ اللـونـ الـأـسـوـدـ هوـ شـعـارـ الـعـبـاسـيـنـ!!ـ بـالـمـثـلـ، تـشـيرـ تـصـرـيـحـاتـ الـزـعـيمـ الـلـيـبيـ الدـاعـيـةـ إـلـىـ إـعادـةـ الـأـعـتـبـارـ لـدـوـلـةـ الـفـاطـمـيـةـ أـصـدـاءـ صـاحـبـةـ بـيـنـ رـفـضـ وـقـبـولـ، وـبـيـنـ تـحـذـيرـ وـتـبـشـيرـ، يـقـرـنـ كـلـ ذـلـكـ بـمـاـ تـذـيـعـ بـعـضـ وـكـالـاتـ الـإـلـاعـمـ عـلـىـ لـسـانـ شـيـعـةـ (ـبـحـارـنـةـ)ـ مـنـ أـنـ هـنـاكـ مـحاـوـلـةـ لـتـغـيـيرـ دـيـمـغـرـافـيـ فـيـ بـنـيـةـ الـمـجـتمـعـ الـبـرـيـنـيـ، يـعـتمـدـ عـلـىـ تـقـليـصـ عـدـدـ الـشـيـعـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـلـدـ الـهـادـئـ الـجـمـيلـ، وـفـيـ لـبـنـانـ الـمـعـادـلـةـ الـطـائـفـيـةـ هـيـ الـتـيـ تـتـحـكـمـ فـيـ مـسـارـ الـبـلـدـ مـنـذـ أـنـ تـأسـسـ، وـالـحـكـومـةـ فـيـ الـمـغـرـبـ تـتـهـمـ السـفـارـةـ الـإـيـرـانـيـةـ بـأـنـهـاـ تـسـعـيـ إـلـىـ تـغـيـيرـ هـوـيـةـ الـبـلـدـ الـمـالـكـيـةـ إـلـىـ هـوـيـةـ شـيـعـةـ، وـفـيـ جـنـوبـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ الـسـعـوـدـيـةـ حـوـارـ حـولـ مـوقـفـ الـدـوـلـةـ مـنـ الـشـيـعـةـ هـنـاـكـ، وـفـيـ جـنـوبـ اـيـرانـ نـشـاطـ وـهـابـيـ سـاخـنـ أـنـتـجـ مـسـاحـةـ كـبـيرـةـ مـنـ التـسـنـينـ الـوـهـابـيـةـ فـيـ شـيـعـةـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـنـفـطـيـةـ الـحـسـاسـةـ مـنـ جـسـمـ الـجـفـرـافـيـةـ الـإـيـرـانـيـةـ..ـ وـالـأـمـمـةـ تـطـولـ وـتـكـثـرـ، وـمـاـ نـكـرـنـاهـ مـنـ شـوـاهـدـ كـافـيـةـ.

الـطـائـفـيـةـ تـحـولـ إـلـىـ أـدـاءـ تـحـلـيلـ سـيـاسـيـ خـطـيرـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلـامـيـ، فـإـدـارـةـ (ـأـوـبـاماـ)ـ مـثـلاـ فـيـمـاـ أـرـادـتـ أـنـ تـتـخـذـ مـوـقـفـاـ فـيـ لـبـنـانـ، تـتـنـظـرـ إـلـىـ رـدـودـ أـفـعـالـ الـطـوـافـ وـلـيـسـ الـدـوـلـةـ الـبـلـانـيـةـ بـشـكـلـ عـامـ، كـذـلـكـ فـيـمـاـ يـخـصـ الـعـرـاقـ، وـقـدـ دـخـلـتـ أـكـبـرـ دـوـلـةـ عـرـبـيـةـ فـيـ سـيـاقـ هـذـهـ الـمـعـادـلـةـ الـخـطـيرـةـ، أـقـصـدـ جـمـهـورـيـةـ مـصـرـ الـعـرـبـيـةـ، حـيـثـ بـدـأـ الـأـلـعـامـ الـمـصـرـيـ يـعـزـفـ عـلـىـ هـذـهـ النـفـغـةـ بـحـقـ أـوـ غـيـرـ حـقـ، لـأـسـبـابـ خـفـيـةـ أـوـ مـعـرـوـفـةـ، فـإـنـ الـقـصـدـ هـوـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ هـذـاـ الـمـرـضـ الـفـتـاكـ تـحـولـ إـلـىـ مـادـةـ صـرـاعـ وـتـشـهـيرـ وـتـنـافـسـ وـتـحـريـضـ وـتـصـفـيـةـ وـتـصـمـيمـ فـيـ الـأـنـظـمـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـإـسـلـامـيـةـ، وـهـنـاكـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـعـوـاـمـ وـالـمـبـرـراتـ تـسـاعـدـ عـلـىـ تـكـرـيسـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ الـخـيـفـةـ، يـمـكـنـ إـجـمـالـهـاـ فـيـمـاـ يـلـيـ:ـ

أـوـلـاـ:ـ إـنـتـشـارـ ظـاهـرـةـ الـإـسـلـامـ الـأـصـولـيـ بـشـكـلـهـ السـنـيـ أـوـ الشـيـعـيـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ.

ثـانـيـاـ:ـ إـنـدـعـامـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ وـمـاـ يـدـعـيـ مـنـهـاـ يـبـقـيـ شـكـلـيـاـ هـشـاـ، لـاـ يـرـتـقـيـ إـلـىـ مـصـافـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ الـمـدـيـنـيـةـ كـمـاـ هـيـ فـيـ الـجـمـعـ الـغـرـبـيـ بـشـكـلـ عـامـ.

ثـالـثـاـ:ـ هـشـاشـةـ الـدـوـلـةـ، وـعـدـمـ تـمـكـنـهاـ مـنـ أـنـ تـتـحـولـ إـلـىـ خـيـمـةـ لـلـجـمـيعـ، الـأـمـرـ الـذـيـ يـدـفعـ الـفـرـدـ إـلـىـ الـأـحـتمـاءـ بـطـائـفـتـهـ أـوـ عـشـيرـتـهـ أـوـ قـومـيـتـهـ.

رـابـعـاـ:ـ سـيـادـةـ الـأـنـظـمـةـ الـإـسـرـاـئـيـلـيـةـ وـالـعـشـائـرـيـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، وـسـرـيـانـ مـفـعـولـ الـمـحـسـوـبـيـةـ وـالـمـنـسـوـبـيـةـ فـيـ الـحـيـاةـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـوـظـيفـيـةـ وـالـوـجاـهـيـةـ.

خـامـسـاـ:ـ إـنـتـشـارـ الـبـطـالـةـ وـتـكـرـيسـ ظـاهـرـةـ التـنـاقـضـ الـطـبـقيـ، وـأـنـدـعـامـ آـلـيـاتـ الـتـكـافـلـ الـاجـتمـاعـيـ، وـالـضـمـانـ الـاجـتمـاعـيـ.

سـادـسـاـ:ـ إـنـحـسـارـ الـوـعـيـ الـقـافـيـ العمـيقـ، وـضـعـفـ مـسـتـوـيـاتـ الـتـرـجـمـةـ وـالـنـقـلـ مـنـ الـلـغـاتـ الـحـيـةـ الـأـخـرىـ مـثـلـ الـأـنـكـلـيزـيـةـ

والفرنسية والألمانية والأيطالية، مما يتسبب بشبه قطيعة مع العالم الكبير.
سابعاً: تكريس ثقافة الماضي بلا نقد وتمحيص ودرایة، وثقافة الماضي في كثير من مساحتها ومدياتها عبارة عن قيم عشائرية ومزهبية تكاد أن تكون خالصة.

ثامناً: المناهج التربوية تكاد أن تكون كلاسيكية حرفية جامدة، لا تثير في عقل التلميذ العربي والمسلم أفقاً مفتوحة من العالم والفكر والحر، ولا تثير فيه شوق السؤال حول التفاصيل والمحرمات والتابوات فيما يتعلق بالدين والجنس والسياسة والأخلاق والتقاليد.

هذه وغيرها أسباب مهمة وخطيرة تكمن وراء هذه الظاهرة المميتة، حيث تتجه القيم والمقاسات والتقييمات والمواصف والتصورات حول الحياة والتاريخ، وفيما يخص الوطن والمصير والمال في سياق (ثوابت!) طائفية ضيقة، محسوبة بدقة مذهبة، حيث تتبثق من كل هذا المركب الموجع معادلات المحاسبة، وتتمل كل مقاييس التقييم الإنساني والعلمي من كفاءة واحلاص وتاريخ وهمة وتجربة وخبرة وعلم وثقافة.

الغريب أن تتكرس ظاهرة (التطييف) في العالم العربي والإسلامي بشكل صارخ ومؤذني فيما العالم يتحدث ويتحاور عن الحداثة وهل استنفت أغراضها أم هي لا تزال في مدها لم تتفجر عن كل طاقاتها الحيوية المبدعة، مما يكشف عن عمق المفارقة وخطرها في جسم المجتمع العربي الإسلامي، ومن المؤسف حقاً، أن تتحول الطائفية أحدى آليات الصراع السياسي بين دول وأنظمة، وأن تصبح من أفك الأدوات التي يستعين بها الحكم والأنظمة للتعامل مع قضايا خطيرة، ذات مساس بأمن العالم الذي ننتمي إليه.

ليس غريباً في سياق هذه الحقيقة أن تشهد المنطقة العربية مليشيات طائفية، وأحزاب طائفية متعددة، وشعارات طائفية، وفلكلور طائفي، وتراث طائفي، إنما إننا نميز بين الطائفة والطائفية، وبين المذهب والمذهبية، فبقدر شرعية الأولى تتأكد في حسابات الضمير الوطني والإنساني.

إن المعادلات الطائفية التي بدت تتحكم وتسرى بشكل صارخ في أنسجة التكوين الاجتماعي العربي والإسلامي أخطارها عميقة كما لا يخفى، فهي خطر إجتماعي وثقافي وأخلاقي واقتصادي، وأسلحتها تتتنوع وتتعدد وتتجدد، ومجالتها تشمل كل مناحي الحياة، فهي حالة احتراط شامل، ومضني، ومخيف، وربما تحول إلى حالة احتراط تعتمد مبدأ التصفية الكاملة.

<http://www.elaph.com/Web/ElaphWriter/2009/5/435630.htm>

إغلاق النافذة